

المدرسة السلوكية

ثورندايك (النموذج الارتباط بين المثير والاستجابة القائم على الانر)

د. حسين عبدالفتاح الغامدي



1. لم يكن ثورندايك تابعا او متأثرا بالفكر السلوكي (الواطسني) كما يعتقد الغالبية الا ان فكرة لم يكن بعيدا عن الفكر السلوكي، ، اذا كان رائدا لمدرسة كولمبيا الوظيفية واحد تلامذة وليم جيمس الوظيفيين. الا ان تجاربه على الحيوان ووصوله الى فكرة التعلم بالمحاولة والخطأ القائمة على فكرة الارتباط دفعت الى تصنيفه ضمن السلوكيين. يرجع الى تداخل السلوكية والوظيفية كما سبق وان بينت فالسلوكية الى درجة كبيرة نتجت عن دمج بين علم النفس الحيواني والوظيفية. وعليه فالعكس هو الصحيح، اذ تأثر كثير من السلوكيين بمن فيهم سكنر وهو اخر اعلام الفكر السلوكي بقانون الاثر لثورندايك، حيث كان الاساس لتفسير اثر المعززات. الا ان ذلك لا يعني احتمال تأثير ابحاث بافلوف على ثورندايك اسوة بمن تأثروا بها من علماء النفس الامريكي السلوكيين من امثال واطسن وفاثري.

2. قام ثورندايك بابحاثه على الحيوان (القطط) منطلقا من خلفيته الوظيفية المنية على الفكر التطوري المؤكدة لمبدأ الاستمرارية بين الكائنات، وايضا لمبدأ التكيف وارتباط الافعال بوظائف حياتية وبالتالي احتمالية تطبيق النتائج. وقد نتج عن ذلك وصوله الى نظرية التعلم بالمحاولة والخطأ Trial and Error Learning . والتي تفسر التعلم من خلال الابقاء على المحاولات المؤدية الى تأثير جيد (مرضي) واضعاف ارتباط تلك التي لاتحقق الاشباع وذلك على اساس لفسولوجي. وذلك وفقا لعدد من المبادئ التي استمر في مراجعتها مؤكدا اهمية بعضها وضعف اهمية اخرى. وتتلخص اهم هذه القوانين عند بداية افتراضها في:

أ. قانون الاثر The Law of Effect: الاثر هو النتيجة التي يقود اليها السلوك حيث يساعد على ارتباط الاستجابات ذات الاثر الوظيفي الايجابي المساعد على التكيف. وتقوم فكرته على اساس ان الفعل المؤدي الى أثر جيد يميل الى الظهور مستقبلا في حالة ظهور المثير. في حين يهمل السلوك الذي لا يؤدي الى الاشباع ويميل الى عدم الظهور مستقبلا. ولقد تم تعديل القانون عام 1932 ففي حين كان ينظر الى الثواب والعقاب كمتغيرين متعاكسين وقابلين للمقارنة العكسية، تبين عدم توازي تأثيرهما. ففي حين يؤدي الثواب الى تقوية الارتباط، يؤدي العقاب الى نتائج مختلفة فقد يؤدي الى ايقاف السلوك مؤقتا الا انه لا يزيله كما انه لا يساعد مباشرة على تعديل السلوك اذا لم تقدم البدائل، ويعتقد ان اختفاء السلوك

غير المرغوب قد لا يرجع الى العقاب بل الى تدعيم الاستجابات المرغوبة، وعليه فقد اقترح تدعيم واثبات ارتباط بديلة لاحتلالها بدلا من هذا السوك.

ب. قانون الممارسة The Law of Exercise: ويعني عملية التكرار، حيث يعمل على دعم تعلم الاستجابات ذات الاثر الوظيفي التكيفي المحققة للشبايع كما يعمل على مقاومة عدم التعلم والنسيان. وتقوم فكرته الاساسية (قبل اهماله من ثورندايك عام 1932) على اساس قانوني الاستخدام The law of use والذي يؤكد فيه امكانية تقوية الارتباطات المكونة من خلال تكرار استخدامها، وعدم الاستخدام The law of un-use المؤكد لامكانية ضعف ثم اختفاء الارتباط المكونة مع عدم تكرار حدوثها (فكرة تطويرية). وقد تبين لثورندايك من خلال البحث العلمي ان التكرار احيانا وبدون تقديم تغذية راجعة لا يحسن العمل مما حدى به الى اهمالة والتقليل من دوره في كتاباته خلال 1932.

ج. قانون الاستعداد The Law of Readiness: ويصف الظروف المساعدة او فير المساعدة لحدوث التعلم. ويفسر ثورندايك ذلك بالاعتماد على حساسية الميكانيزمات العصبية Neurological Sensitivity لاحداث السلوك. فالاستعداد للسلوك يعني امكانية القيام به كنتيجة للتهيؤ العصبي. ويتضمن ذلك الحاجة من الفرد والاثار المشبع للسلوك. فالجوع قد يعني استعداد الفرد للقيام بالبحث عن الطعام لما له من اثر اشباعي. أن كل ما يقوم به الفرد لتحقيق الهدف يكون مؤشرا للاستعداد، في حين ان ما لا يقوم به مؤشر على عدم الاستعداد.

د. التغير الارتباطي Associative Shifting: ويعني امكانية حدوث الارتباط بظروف او مثيرات اخرى. ويتم ذلك من خلال اعادة المحاولات مع ادخال واستبعاد بعض من عناصر الموقف تدريجيا. مثال على ذلك حفظ قصيدة . مع تكرار القصيدة واطافة ابيات جديدة يمكن ان يتم الحفظ. او مع تغيير المطبوعة واطافة وحذف بعض الكلمات.

3. التربية والتعليم Education and Instruction: كواحد من اهم الوظيفيين، فقد احتلت قضايا التربية جل اهتمامه، فلا معنى للتنظيم دون تطبيقات وظيفية تساعد على الحياة بشكل افضل. وقد وضع عدد من القوانين التربوية او مبادئ التدريس شملت:

أ. العادات لا تكون نفسها،

ب. احذر من تكوين عادات يمكن ان تكسر مستقبلا،

ج. لا تكون عادتين او اكثر اذا كانت واحدة تؤدي الوظيفة،

د. ابني العادات بالشكل التي يمكن من استخدامها.

4. كما اهتم ببناء المناهج وله ارشادته في هذا المجال والتي يمكن اجمال اهمها في:

أ. قدم المحتوى المناسب عندما يكون الفرد جاهزا ومستعدا لاستخدامه.

ب. قدم المحتوى المناسب عندما يشعر الفرد بالحاجة الى استخدامه وتوظيفه لتحقيق هدف.

ج. قدم المحتوى المناسب عندما من حيث الصعوبة لقدرات وامكانات الطلاب.

د. قدم المحتوى المناسب لخصائص الافراد الانفعالية والنفسية.

5. التربية العقلية: ساد في عصر ثورندايك الاعتقاد باهمية بعض الموضوعات في تنمية القدرات العقلية والذكاء، وقد قام بدراسة ذلك علميا، وانتهى الى عدم مصداقية هذا الافتراض.